اثر عربي قديم للقديس يوحنا فم الذهب

نشرهُ حضرة المنوري لاونديوس كلزي رئيس دير الشير

المقدمة

بينما كنتُ اسرّح الطَّرْف في سجلّ مكتبة دير الشير وقع نظري على كتيّب مخطوط خطًّا قديمًا ومرسوم بالمدد ٥١ يبلغ طولهُ ١٥ سنتمترًا بعرض ١٠ س ينطوي على ٧٠ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطرًا . وفي الكتاب رسالتان . الثانية للشمّاس عبدالله الراخر الحالبيّ وجّهها الى البطريرك اثناسيوس دبّاس سنة ١٧٢٦ يثبت فيها انه يجوز للمسيحي العلماني ان يدافع عن قضايا الايمان . وهي رسالة شهيرة . امّا الرسالة الاولى وهي التي نحنُنا حاضرًا فائمًا لذلك الملفان العظيم شرف الكنيسة عمومًا والشرق خصوصًا القديس يوحنّا فم الذهب وجّهها الى المدعو ثاودورس الذي كان ترك الرهبانيّة وعزم على الزواج

وللقديس يوحنّا فم الذهب في مجموعة اعمالهِ في مين (Migne PP. GG, XLVII, 277-319) رسالتان الى ثاودورس المذكور الواحدة معزّلة والاخرى اقصر طولًا وهذه الاخيرة هي التي وجدناها في مخطوط دير الشير وتبلغ منهُ ٣٩ صفحة صغيرة . والحقّ يقال انّها اهلٌ بذلك المعلّم العظيم اذ اودعها كلّ الادلّة التي من شأنها ان تبيّن للراهب الساقط الجاحد لدعوتهِ سوء فعلهِ بخروجهِ من الرهبنة بعد ان انضوى اليها وتورد لهُ كلّ الاسباب المقنعة التي تحدوهُ الى الرجوع الى دعوتهِ بالتوبة الصادقة

امّا ثاودورس المذكور هنا فهو ثاودورس الذي اشتهر بعد ذلك بكتاباتهِ وتآليفهِ المختلفة لاسيما بشرح الكتب المقدّسة وجنح فيها الى بعض آراء النسطوريّة . كان مولدهُ سنة ٣٥٠ وتوفي سنة ٤٢٨ بعد أن نُصب اسقفًا على مدينة المصّيصة . وكان في شبيبتهِ تزهّد مع القديس يوحنّا فم الذهب في دير كرتيريوس وديودوروس . ثمّ سئم الحياة النسكيّة وكاد ينخدع بأباطيل العالم لولم يردّهُ الى دعوته القديس يوحنّا صديقهُ بالرسالتين اللتين اشرنا اليهما والتي نورد هنا احداهما

ولم يُذكر في مخطوطنا اسم كاتب المقالة ولا وقت كتابتها ولعلّ معرّبها من اللغة اليونانيّة هو عبدالله بن الفضل الانطاكي في اواسط القرن الحادي عشر للمسيح وقد يُنّت جملةً المشرق انّهُ قد نقل الى العربيّة كثيرًا من اعمال القديس يوحنّا فم الذهب . وقد اردتُ نشر هذه الرسالة الذهبيّة ليقف عليها محبُّو الآثار الدينيّة القديمة معًا في نصوصها من بعض الركاكة طمعًا بالفوائد الجمّة المتضمّنة فيها ولأنّ من شأنها ان تشجع المطأة وتدفعهم الرجوع الى الله ثمّ رغبةً في إخراج هذه الجوهرة الثمينة من مدفنها في بطون المكاتب

رسالة لأبينا الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب

ارسلها الى ثاودورس الراهب الشاب الذي سقط وترك الرهبانية وقصد الزيجة والدخول في العالم . فكتب له القديس هذه الرسالة لينشطه الى الرجوع والتوبة مذكرًا لهُ بالدينونة والحساب امامَ منبر الديان المرهوب

. . .

انه لو كان ممكن ان تُحمَل الدموع والتنهُّد بالكُتُب لكنتُ املأُ بهما لك كتابي هذا وأرسلهُ اليك . اذ قد بلغني عنك انَّك أفرزتَ نفسك من مصافّ الاخوة وتركتَ العهود التي عاهدتَ الله بها . ولهذا أفزع واجزع واخاف وأرعب لأن الذي ينتظم مع الفرسان من غير عهد ولا اكتتاب لا يُلام اذا ما ترك الفروسية ورجع الى الوراء . وأمَّا الذي اكتتب مع الفرسان وانتظم في مصافّهم فاذا ما تركَ الفروسيَّة فان بهذا الفعل يوجب على ذاته العقوبة الجزيلة

فاعلم ليها الحبيب ثاودورس ليس هو امرٌ صعب اذا ما وقع المُصارع بل ان الصعوبة اذا ما ثبت في سقطته . ولا هو حزنٌ اذا ما انجرح المقاتل بل الحزن هو اذا ما قطع رجاءهُ ولم يُعانِ العلاج للجرح وأيس من ذاته . أما ترى التجار الذين يسافرون في الابحار فانهم وان أُصيبوا في البحر وضاعت اموالهم فلا يمتنعون من ركوب البحر لكنهم بعد ذلك يرجعون ويركبون البحر ايضاً ويصبرون على تلاطُم الامواج واهوال اللُّجج ويقصدون الاماكن البعيدة مجتهدين بكل حرص ليردُّوا اليهم غناهم . وكثيرون من المجاهدين قد رأيناهم بعد وقعات كثيرة نهضوا وحظُوا باكلَّة الغلبة . وآخرون كثيرون من الفرسان حينما كانوا يصافُّون الاعداء انقلبوا منهم وفرُّوا هاربين ثمَّ بعد ذلك تشجَّعوا ورجعوا وقاوموا بجلادة وشهامة فقووا عليهم وغلبوهم وظهروا ابطالًا في الحرب . وغيرهم كثيرون ايضاً من المؤمنين بالمسيح من شدة العذابات الصعبة المراس ارتخت عزائمهم وعزموا ان يطيعوا (المضطهدين) بل البعض منهم اطاعوهم وسقطوا في العبادة الباطلة . ثمَّ بعد ذلك رجعوا وجاهدوا فنجحوا وليسوا اكلَّة الظفر مع الشهداء الغالبين . فلو انَّ كلَّ واحد من المذكورين كان قطع رجاءهُ من اول مرَّة لما كان يحصل على الخير الذي حصل عليه فيما بعد . هكذا انت يا حبيبي وان كان العدو قد زعزعك من مقامك قليلًا فلا تغشل خائفاً

وتطرح ذاتك وترج بنفسك في الهوتة المهلكة مؤيساً بل قف بجلادة وارجع سريعاً من حيث خرجت ولا تظن ان هذه الضربة لك عارٌ فهل يعيّر احدٌ بعض الفرسان اذا ما نظره راجعاً من القتال جريحاً . بل ان الفارس الذي يطرح السلاح ويمكّن الاعداء من نفسه فهذا الذي يُعيَّر ويُهزأ به . ولكن اذا ما هو وقف متجلداً في القتال فانهُ وان جُرح وتأخر قليلاً فالذين لهم معرفة بالحروب لا يلومونهُ اصلاً

ان الذين لا يعاينون الحروب . اولئك لا ينجرحون اما الذين يحاربون الاعداء بجلادة ويصادفونهم بسلاحهم فعلى الغالب ينجرحون ويصابون كما أُصبتَ انت . لانك اذ اردتَ ان تقتل الحية بجرأة فلسعتك فلا تيأس ايها الحبيب بل ثِقْ واطمئن يا اخي لانك لا تحتاج الّا الى علاج قليل وانتباه وشجاعة فلا يبقى فيك اثر الجراح والضرب . بل انك ترضّ رأس العدو بنعمة المسيح . ولا تحزن لانك جُرحت في ابتداء جهادك بل اعلم ان العدو الغاشّ حينما ابصر بمكره فضائل نفسك وانك مجاهد بطل حيث انك ابتدأتَ بقتاله بحرص وجلادة فخاف منك جداً وافتكر في انك ان بقيتَ على هذا الحال تغلبه وتقهره فحرص واجتهد بل أفرغ جهدهُ وقاومك بكافّة حيله . فحينئذٍ توانيتَ انت ايضاً متراخياً لانه لولا توانيك لما قدر العدو ان يجرحك . ولو قصدت أنت ان تقف مقابله بجلادة لما امكنه ان يصرعك ويسقطك بل كان شرّه يرجع على هامته

لأنَّ مَن ذا الذي لا يتعجب بل كان سُرَّ من انقلابك الاول السريع الحار . ومن لا ينذهل من انتقالك من اشراك العالم وفخاخه الى اقتناء الفضائل والصلاح اذ انك رفضت نعيم الاطعمة اللذيذة كلها وطرحت الملابس الثمينة وتوطّأتَ الكرامات والعظمة المرغوبة من الكثيرين . وحرصك ورغبتك اللتان كانتا لك في الحكمة البرّانية رددتهما بسرعة الى كتب الله بهذا المقدار حتى انك كنت تصرف النهار كله في مطالعة الصحف المفيدة وتجيز الليل كله في الصلوات والتضرّعات ولم تذكر شرف جنسك وعزّ آبائك بل كنت تفضّل السجود لأقدام الاخوة على كل شرف . فاذ شاهد منك العدو هذه المناقب حزن جداً واستيقظ وابتدأ باجتهاد ان يقاتلك قتالاً شديداً . غير انهُ يا اخي لم يجرحك جرحاً ليس له شفاء . ولو انه تركك الى زمان طويل الى ان تقتني كل نوع من انواع الفضائل والصلاح بعد ان تتعب تعباً زائداً

شديداً ثم ابتدأ في قتالك وغلبك فقد كان يقال انك خسرتَ خسارة جزيلة . حتى وان كان ذلك كذلك فلا ينبغي ان تيأس وتقطع رجاءك . بل جرحه اياك في ابتداء مصادمتك له خيرٌ لك كي تزداد تحفظاً وحذاقة في قتاله فلا يعود قادراً على ان يظفر بك . ولأن هذا اللص الخبيث لم يخرج لمقاومتك حين رجوعك من سفرك وتجارتك وجزيل ربحك بل انه نهض عليك في ابتداء تزولك في البحر قبل ان تعاني جزيل اضطرابه وكثرة اخطاره وجرى امره معك كمثل مَن يريد ان يقتل وحشاً كاسراً فاذا ما هو خدش خدشاً يسيراً لم يضرُّهُ ذلك . وانما يصير هذا سبباً لاحتفاظه منه وحرصه كي لا يسلم ذاته في يده دفعةً اخرى . هكذا فعل عدو جنس البشر اذ انه قصد ان يضربك ضربة صعبة بالغة فاخطأ الغرض لانهُ صيَّرك ان تنتبه وتسهر بحرص مترقباً وروده ايضاً

واعلم ايها الاخ ان طبيعة الانسان سريعة الزلق والانتقال من حال الى حال الا انها كما تسقط سريعاً كذلك تنهض ايضاً سريعاً . انظر ما اصاب النبي والملك داود الذي بعد ان اقتنى فضائل كثيرة وكان مختاراً من الله سقط بخطيئة العشق لتلك المرأة الغريبة وتمَّ العمل بالفسق . ولم يقف في هذه الحدود بعد هذا الجرح العظيم بل زاد على ذلك جرحاً آخر اذ مزج الزنا بالقتل ومع ذلك لم ييأس لكنَّهُ حالما نبَّههُ الطبيب انتبه ونهض سريعاً ووضع على جراحه مراهم واستعمل ادويةً متقنة وهي الصوم والنوح والبكاء والصلاة الدائمة والاقرار بالخطيئة والندامة عليها وبهذا اجتذب الله الى الرحمة اليه والرجوع الى رتبته الاولى بعد تلك السقطة المريعة واستحقّ بافعاله هذه ان يستر خطأ ابنه سليمان حينما سقط بعبادة الاوثان لكي يرضي نساءهُ وابتعد من اله آبائه اذ وقع في الفخّ الذي وقع فيه ابوه

فانظر يا اخي كم شرٍّ يعمل من لا يضبط شهوتهُ وكيف تنقلب فيه الرئاسة الطبيعية التي خُلق فيها ويصير عبداً واسيراً للشهوة والسلطة . وحقاً ان سليمان قد كان استحق ان يُقرع من الملك والسلطنة لاجل افعاله هذه ولكن لاجل صلاح والده داود تركهُ الله في كرسي الملك والسياسة العظيمة . وانت ايها الحبيب لو كنت حرصت في الامور العالية والاشياء البرَّانية ثم تأهلتَ وكسلتَ فاني كنت اذكرك باماكن القضاة وبافذين يكلَّلون هناك ويحصلون على الكرامات . وكنت أطلب

منك ان ترجع الى ذاك الحرص لتحظى بهذه المذكورات . واما نحن اذ قد صار حرصنا كله في الامور السماوية وليس لنا هوى في شيء من الامور الدنيوية فانا نذكرك في يوم الدينونة الرهيب وكيف اننا كلنا عتيدون ان نقف امام عرش المسيح لنعطي جواباً عن كل ما فعلناهُ وافتكرنا به وقلناه . فحينئذٍ يكون الديّان جالساً يستفحص كل شيءٍ ذاك الذي خالفتَ مواعيدهُ باذا تعتذر لديهِ وماذا تجاوبه ان انت ثبتَّ على مخالفتك العهود التي عاهدته بها ؟

قُلْ لي هل تحتجّ بامور العالم ؟ والحال انه قد سبق سيدنا يسوع المسيح وقال لنا : «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » . وان انت احتججتَ بانك قد خُدعتَ فلا يبرّرك هذا الاحتجاج كما انهُ لم يبرّر آدم عندما احتجّ بالمرأة اذ قال : « ان المرأة هي التي غرّتني حتى صنعتُ ما صنعت » . ولم تتبرّر المرأة ايضاً باحتجاجها بالحيّة

يا حبيبنا تاودورس مخيفٌ هو ذلك الموقف الرهيب وتلك الدينونة لانه لا يُحتاج هناك الى اناس يفحصون ويوبّخون ولا الى شهود يشهدون بل الاشياء كلها ظاهرة بين يدي الديّان . ولا يديننا على الاعمال فقط بل على الاقوال والافكار بما انه فاحص القلوب وعالم الخفيّات حتى وحركات قلوبنا الصائرة بالليل والنهار

وعساك تتعلّل بضعف الطبيعة وانك لم تقوَ على حمل نير المسيح الطيب وحملهِ الخفيف فاعلم ان النياح من التعب ليس هو جيداً لان سيدنا يسوع المسيح يدعونا الى هذه الاتعاب ويعدنا بواسطتها الراحة اذ يقول : « تعالوا اليَّ ايها المتعبون والثقيلي الاحمال وانا اريحكم . احملوا نيري عليكم ان نيري طيب وحملي خفيف »

اخبرني يا اخي ايُّ شيءٍ اخفّ من هذا وهو ان يستريح الانسان من الهموم والامور الدنيويّة ومن الخوف والتعب والنَّصَب ويكون خارجاً عن اضطراب العالم ومواجه ويصير الى ميناء هادئ . انا اسألك ايها الحبيب ايُّ شيءٍ في امور الدنيا احبُّ الى الناس وافضل عندهم ؟ فلستُ اشكّ انك تقول لي انها الرئاسة والغنى والكرامات . وماذا يكون اشقى اذا ما انقلبت . حيث ان الرئيس يخاف ان تقوم عليه الجماعة وتشغب . ويخاف ايضاً من الرؤساء الذين فوقه . ويلتزم بالاهتمام بالذين هم دونهُ . والذي كان بالامس رئيساً في الغد يصير مرؤوساً . لان امور هذه الدنيا

تشبه الذين يلعبون في الملعب . وكما ان اوليك في ملاعيبهم يصيرون الواحد ملكاً والآخر قائداً وغيره فارساً الى ان ينتهوا ما ابتدأوا به وفي حال انصرافهم من هناك لا يبقى الملك ملكاً ولا القائد قائداً ولا الفارس فارساً

هكذا في ذلك اليوم الرهيب لا يُكافأ الانسان لاجل اسمه ووظيفته بل لاجل تصرُّفه وافعاله . انَّ الكرامات والشرف العالمي يُرى عندنا لذيذاً وحلواً الَّا انه يذهب عنَّا الى غيرنا وشيكاً . والكتاب يقول : « الويل للذين يفتخرون بقوتهم والذين يفتخرون بكثرة اموالهم وغناهم » . غير ان الحرية المسيحية ليست هكذا إذ انَّ المسيحي الحقيقي لا ينتقل من الرئاسة الى الرعاعة . ولا من الغنى الى المسكنة ولا من المجد الى الهوان بل انه يمكث غنياً اذا ما هو تمسكن ويرتفع اذا ما هو اتضع ولا يقدر احد ان ينزعه من الرئاسة التي يرأسها . لانه لا يرأس على النـاس بل على أراكنة وسلاطين ضابطي ظلمة هذا العالم كما قال الرسول

ثمَّ تقول ان الزواج مكرَّم ومضجعهُ نقيّ والله يدين الفسقة والزناة . نعم حقٌّ ما تقوله وهذه آية رسوليَّة . فاما انت فلا يمكنك منذ الآن ان تحفظ ناموس الزيجة . لان الذي قد عاهد الختن السماوي ان يقيم لله نفسهُ ذبيحةً طاهرة اذا ما هو حنث بوعده واتخذ لهُ امرأةً فقد فسق وان سئيتَ لي ذلك عشرة آلاف مرَّةً بقولك ان هذا زواج فاجاوبك قائلًا : لابل انه فِسق . واقول ايضاً انه شرٌّ من الفسق . واعلم انَّ الله افضلُ من البشر بما لا يقدَّر والكتاب المقدس قد روى قولهُ : « اوفوا للرب نذوركم » فلا يغرَّنك احد بقوله لك ان الله لم يمنع عن التزوُّج . وانا ايضاً اعلم ان الله لم يمنع من التزوُّج لكنه تعالى قد منع عن الفسق الذي تريد ان تفعلهُ باقترانك مع امرأة غير اني ارجو ان ذلك لا يكون اصلًا . ولا تعجب من قولي عن التزوُّج انه فسق حقّ لاجل انَّهُ يتم بمخالفة الله

فربَّما رأينا قتلًا صيَّر فاعلهُ باراً لانه تمَّ بطاعة الله وقد رأينا ايضاً فعلَ رحمة عوقب فاعلهُ لاجلهِ اكثر من القتل لانهُ صنعهُ بخلاف ما اوصاه الله . فينحاس الكاهن لمَّا طعن الزاني مع الزانية وصنع القتل حُسب له ذلك براً وصدوقيَّةً لانه كان قتلٌ برضى الله . لمَّا شاول الملك لانهُ لم يقتل ملك العمالقة كما امرهُ الله مع ان فعلهُ هذا فعلُ رحمة عاقبهُ الله لاجلهِ عقوبةً صعبة بهذا المقدار حتى ان صموئيل النبي طلب

الى الله من اجله كثيراً ولم يقدر ان يخلصهُ مما قضى الله عليهِ بهِ . وسهر هذا النبي ليالي كثيرة بالتضرُّع والبكاء الى الله لاجلهِ ولم يترك الله له هذه المخالفة التي صنعها ضدّ ما اوصاهُ الله ونزع منه الملك واعطاه لداود

فاذاً لا تعجب من قولي ان الانسان يُدان عن التزويج اكثر من الفسق اذا كان ذلك مخالفاً للعهود مع المسيح . وكما قلتُ لك اولاً انك لو كنت من رعاع الناس لما كان احد يلومك على تركك الفروسية والتجنُّد للمسيح اما الذي هو نظيرك فهذا عارٌ عليه . اذ لم يبقَ لك الآن سلطان على نفسك لانك تجنَّدت وتعيَّنت فارساً للملك السماوي . لانه كما انَّ المرأة اذا ما اقترنت برجل لن يبقى لها سلطان على جسدها بل لرجلها السلطان عليه . فكم بالحري اكثر من هذا بأضعاف الذين تعاهدوا مع المسيح فانهم لا يعود لهم سلطان على اجسادهم

اعلم ان الذي تركتهُ الآن انت هو الدنيا للجميع في ذلك اليوم الاخير . افتكر في كلامي هذا وتأملهُ في كل وقت . واعلم ايضاً ان في ذلك اليوم الرهيب سيجري نهرٌ من نار امامه وعذابات ليس لها احصاء توجد هناك والذين يسلَّمون الى تلك العذابات لايبقى لهم رجاء خلاص منها . اما شهوات العالم فهي كالظلّ والمنام وأضغاث أحلام لأنهُ قبل ان تتمّ الخطيئة تنطفئ اللذَّة اما العقوبة عنها فليس لها انقضاء . اللذة هي زمن يسير واما الاحزان فمؤبَّدة . العالم لا يوجد فيه شيء ثابت وقد قال بعض القديسين انَّ حياتنا هي اسرع من الماء الذي يجري . والنفس المجاهدة لايوجد شيء اكرم منها . وهذا لا يخفى عمَّن وصلوا الى اقصى الجهاد

وانا اعلم ايها الحبيب انك لم تسترخِ كثيراً بازاء قتال العدو . بل انك واقفٌ في وسط لهيب نار الفخ . فاذا ما صرختَ نحو العدو قائلاً : انني للذَّاتك النجسة لا أعبد ولأصل شرورك ومكايدك لا اسجد . ثم اذا رفعت عينيك الى ساكن السماء فحالاً يطفئ عنك وهج اللهيب ويحرق الذين طرحوك في هذا الاتون الناري ويرسل لك في وسط الاتون سحابةً ندًى وريحاً لطيفاً هادئاً حتى لا تدنو النار منك ولا الى حواسك وافكارك بشرط ان لا تحرق انت نفسك . لأن المدن الحصينة لا تسلَّم للاعداء غالباً من قتال الذين هم خارجاً ولا تُهدَم من خيانهم الّا اذا نافق واحد او اثنان من داخل فيسلمونها بخيانةٍ منهم الى الاعداء بغير عناء

وكذلك انت ايها الاخ ان لم تتنازل مع العدو بما تُهجس لك به الافكار من داخل فلا يقدر عليك احد من خارج ولو احتال عليك بحيل شتى لانَّ لك بنعمة الله معاضدين كثيرين اقوياء يتولُّونك جيدًا ويعينونك باجتهاد . ويتحنَّنون على نفسك وهم رفاقك واخوتك الروحيُّون الذين منهم فيلاريوس قديس الله واخوه فلورنطس الفاضل . والمتسهِّر بحكمة المسيح برفيريوس . واخرون كثيرون الذين لا يزالون ينوحون في كل يوم ولم يكفُّوا في كل يوم من الطلبة والدعاء لاجلك . واني لا اشكُّ في انهم كانوا ينالون ما يسألونهُ لو انك ايضاً تريد وذلك اذا اجتهدتَ بحرص ان تخلِّص نفسك ولا تميل مع العدو بقبول ما يقدِّمه لك بل قاومتهُ بضد ذلك . وكيف لايكون هذا عارًا ايها الاخ وهو ان آخرين لم ييأسوا بعد من سلامتك بل انهم في كل وقت يقدمون لله صلوات وتضرعات طالبين منه تعالى ان يردَّ اليهم عضوهم . وانت لا تريد تنهض من سقطتك بل تمكث فيها كمن ليس له رجاء . ألعلَّ الذي يقع لا يقوم ؟ فانت تريد ان تضادَّ الكتاب المقدَّس بقطع رجائك عند سقطتك وكأنك تقول بافعالك التي هي لسان حالك : ان الذي يقع لا يقوم

فانا اطلب منك يا حبيب ان لا تظلم نفسك هذا الظلم كلهُ . وارجوك ألَّا تُحزن انفسنا بهذا الحزن العظيم وليس اني اقول لك هذا بما انك لم تبلغ بعد عشرين سنة من العمر بل لقلتهُ لو كنت عشت سنين كثيرة وكلها أجزتها في رضا المسيح . ولو كنتَ عند الكبر والشيب سقطت بمثل هذه السقطة فما كان ينبغي لك حينئذٍ ان تقطع رجاءك . افطن وافتكر باللص الذي آمن على الصليب . أخطِر ببالك اولئك الذين عملوا في الساعة الحادية عشر واخذوا الاجرة كاولئك الذين عملوا النهار كلهُ . وكما انهُ لا ينبغي للذين يكونون سقطوا في آخر كبرهم ان يقطعوا الرجاء كذلك لا ينبغي للذين يكونون في عنفوان صباهم اذا هم زلقوا ان يمكثوا في حالتهم تلك ويعدوا انفسهم بهذا الرجاء قائلين : نحن نشبع اولًا من لذات هذا العالم وبعد ذلك نتعب قليلًا ونأخذ الاجرة وافرةً

انني يخطر ببالي حينما كنت احذرك وانت راغب مجتهد فكنتَ تقول لي : كيف اصنع لاني اخاف ان يكون خروجي من الدنيا بعد زمن يسير فماذا اعتذر امام الذي قال : لا تُبطئ في رجوعك الى الرب ولا تؤخره من يوم الى يوم . ردِّد في نفسك هذه

الافكار واجتهد في ان تربط السارق . لان سيدنا يسوع المسيح هكذا سمّى يوم خروجنا من العالم كسارق يأتينا في يوم لا نعلمه . تأمل بهموم الدنيا للجميع الخاصّ منهم والعامّ . تأمّل بمخافة الأراكنة . بجسد اهل المدن الذي ربما بلغ الى اقصى غاية من البلايا . بالاتعاب وبالمشقات التي لا تعداد لها المحيطة بالبشر من كل جهة وناحية . وانظار هذا التعب والعناء كلّه يجوز وينقضي في هذا العالم . فاي شيء يكون اكثر حزناً من هذه المذكورات ؟ ما اكثر الذين تعبوا في امور الدنيا لكي يلتذّوا ويجدوا لهم راحةً ما يعتاضون بها عن تلك فلم يحصلوا على ذلك غير انهم اجازوا حياتهم بالاتعاب والهموم والبلايا . وحيث ظنّوا انهم يعتاضون عن ذلك هاهنا فاختطفهم الموت وذهبوا من غير ان يستريحوا قليلاً . وكذلك ايضاً ما اكثر الجنود العاليين الذين كابدوا اتعاباً كثيرة وخاطروا بذواتهم مراراً وانتصروا في الحروب لكي يكون لهم دالّة عند الملك الارضيّ . وقد حدث لهم كثيراً انهم لم يبصروا وجهه وايادية بل خاب املهم . فكيف يؤمّل الانسان الذي في حياته لم يجاهد الّا مع العالم والجسد ان سيبصر وجه الملك السماوي

ولو اخذتُ اذكر لك جزءاً من الهموم التي تحلّ في المنازل من اجل المرأة والبنين لرأيت ما اكثرها . لانهم ان لم يولد لهم ولد يحزنون حزناً عظيماً . حيث ان الذين هم هكذا يرون انهم باطلاً اقترنوا بسنّة الزواج . والذين يلدون اولاداً يصيرون كانهم في العبودية . لانّهُ ان مرض احدهم تنغّص عيشهم لاجله . وان مات تصير المصيبة اعظم وينوحون عليه نوحاً لا عزاء له . وفي كل زمان حياتهم تتجدد لهم هموم مختلفة . والذي يتخذ له امرأة فقيرة له حزن خصوصيّ . والذي يأخذ واحدة غنيّة له حزن آخر لان الذي يتخذ المسكينة فقد اضرّ بماله . والذي اتخذ الغنية فقد صيّر عليه رقيباً ومعلماً واهان حرّيته

وماذا اقول ايضاً فيما يكابدهُ الاكابر والاغنياء تارة من كثرة النفقات والمصاريف متى يلتزمون بها ولا تتيسّر لهم بل احياناً كثيرة تتعذّر عليهم المكاسب والارباح . وماذا اقول ايضاً عما يتكبدونهُ احياناً من هموم العبيد والإماء . وامور كثيرة غير هذه . فتلك هي حياة اهل العالم المملوّة من المشقات والاتعاب ايها الحبيب . وهي ان يزجّ الانسان نفسهُ في هذه المذكورات جميعها بل وفي بلايا اكثر منها

وبالنتيجة تصير حياته لغيره لا لنفسه

فاننا نحن نشكر الله لاننا ليس عندنا شيء من هذا وانت نفسك ايها الاخ ثاودورس تشهد بهذا كله . لانك تعلم بكم فرح وسرور تمتعت بذلك الزمان الذي فيه افرزتَ نفسك لله وانفصلت من اضطرابات العالم ومن بحر امواجه وملكت الحرية التي لا يملكها الاَّ الذين ابتعدوا من التزويج واختاروا المسيح اولئك يسعدون بل ينتصرون على هذه البلايا كلها . لأنَّ الانسان اذا ما قصد ان لا يضرّ بنفسه فلا يقدر احد ان يضره اصلاً . ان هو خسر مالاً فلا يحزن لانه قد عرف اننا لم ندخل الى الدنيا بشيء وكذلك لا نخرج منها بشيء . ولا يدخل في قلبه حبُّ المجد الباطل ولا رغبة الكرامات لانه قد علم ان تدبيرنا هو سماوي . وان قرَّنه انسان لا يحزن واذا ضربه لا يغضب . وهلم جرًّا

وانما مصيبة المسيحيين هي واحدة فقط ان يخالف الانسان خالقه . اما بقية الاشياء كخسارة الاموال ليست هي شيئاً عند من حسُنت عبادته كما تقدَّمنا فقلنا . وكذلك الخروج من الوطن وبقية الاحزان الفادحة فلا نرى انها شيء . لاسيما اولئك الذين تركوا العالم والتصقوا بالمسيح كما سبق القول . فالامر الذي كل الناس يخافونه ويرهبونه اكثر من الجميع وهو الخروج من الدنيا هو عندهم احلى من الحياة ولذيذ بهذا المقدار حتى انهم يحتسبون ذواتهم نظير انسان صعد الى جبل عالٍ وهو ينظر الى البحر متأملاً الى الذين يسيرون فيه كيف ان البعض قد غرقتهم الامواج والآخرين قد صادمتهم الصخور وتكسَّرت مراكبهم . ويجتهد غيرهم ان يمضوا الى مدينة مقصودة منهم فيأخذهم الريح الى غيرها . والبعض قد غرقوا واخرين قد فارقوا الدنيا وهم طافون على الماء . ومصائب كثيرة غير هذه

اما الذين خصصوا نفوسهم وتجنَّدوا للسيد المسيح فانهم يرون ذواتهم انهم قد نجوا من هذه المخاطر وخلَّصوا انفسهم من بحر هذا العالم وامواجه . وخصلوا في ميناء هادئ . فايشيء يكون اصلح واسهل من ان لا يكون للانسان سوى همّ واحد وهو كيف يُرضي الله كما ينطق بذلك إمامُنا ذاك الرسول المفضل بولس الطوباني بقوله : «ان المتزوج يهتمّ كيف يرضي امرأته . والغير المتزوّج يهتمّ كيف يرضي الله»

ارايت يا حبيبي مصايب الذين يسيرون في بحر هذا العالم والمخاطر الحاصلين بها

فانا ارجوك ان تهرب من هـذه اللجج والامواج الخطرة وتستكين في السكينة والهدو حيث لا خوف عليك . ومن المعلوم ايها الاخ ان القيامة والدينونة حقّ وبعد خروجنا من هذه الدنيا لا بدَّ لنا ان نقتصب امـام عرش المسيح لنأخذ جزاء افعالنا ثواباً ام عقاباً لانه لم تَعُدْ جهنم عبثاً ولاتهيَّأت الخيرات باطلاً . وهذه الاشياء ابدية ليس لها انقضاء . اما العالم فهو لسرع زوالاً من الظلّ فلا تخسر تلك لاجل هذه مع انـك تقدر ان تربح الامرين كليهما . ان اردت وقصدت ذلك باجتهاد لأنّ الرسول الالهي بولس المعظم يثبت ذلك للذين يعيشون بالمسيح من غير زواج بقوله : «اني ارقُّ لكم واشير عليكم بهذا لمنفعة انفسكم »

وحقاً ان الذين يهتمّون بامور الرب وحدهُ هم افضل من المتزوجين وبعد مضينا الى العالم الآتي لا يمكننا ان نتوب لان هاهنا ميدان الجهاد فهل رأيت احداً الفرسان المجاهدين بعد ان يجوز موسم الحرب ويمضي الناس من موضع الجهاد . متفرقين يفتكر في ان يجاهد ؟ فافتكر متأملاً في هذه كلها واكسر سيف العدو المرهف البتّار الذي به يقتل كثيرين اعني به قطع الرجاء الذي بواسطته يصير الذين يسقطون ييأسون من التوبة . وهذا هو سلاح العدو والذي به يقوى على الذين سقطوا . ولكن اذا مـا اردنا فنحن نقدر بنعمة المسيح ان نكسر هذا السلاح ونطفئ هذا السهام المحمى ونرضي ربنا والاهنا يسوع المسيح

انا اعلم يا اخي اني قد تعدّيت حدَّ الرسالة فاغفر لي . لانني لم افعل هذا كرهـاً بل انني كُلِّفتُ من الحب والحزن اللذين اضطرّاني في ان اكتب اليك هذه الرسالة مع كثيرين كانوا يمنعوني عن ذلك بقولهم لي : كفَّ عن تعب لا يجدى نفعاً ولاتزرع على الصخرة . فلم اقبل ذلك من احدٍ منهم بل اتي اجبتهم قائلاً : انَّ لي رجاء ثابتاً ان كلام الكتب لا شك ينفع وانا ايضـاً اصلّي واطلب اننا نحن نربح . ولكن لا نُلام ايضاً ولو لم نربح ونكون شرّاً من الذين يركبون السفن في البحار لان اولئك اذا هم رأوا بعض ركّاب البحر قد أُصيبوا وانكسر مركبهم . يرخون القلاع ويمدون مراسيهم ويركبون حالاً القارب ويذهبون ليغيثوا الذين قد اصيبوا وصاروا في خطر الغرق حتى وان كانوا اناساً لا يعرفونهم . فـاذا اولئك لم يريدوا ولا يحبون ان يخلصوا فليس احد يلوم الذين اغاثوهم وقت هلاكهم

فنحن قد فعلنا ما يجب علينا . وارجو بنعمة المسيح انك انت ايضاً تعمل ما يجب عليك . واننا سنبصرك ايضاً في قطيع غنم المسيح على ما يجب وان يقبلك وانت معافىً صحيحاً بالصحة الحقيقية المرضية له بصلوات جميع القديسين . يا حبيبنا ان كنت ترانا في شيء . وتحفظ مودتنا بعد ولم تمكن طرحتنا بالكلية من فكرك اقرأ رسالتنا هذه وتأملها جيداً واكتب لنا جوابها فانك اذا فعلت ذلك ستسرنا جداً ونفرح جميعنا امام منبر المسيح وتؤهلني انا الحقير ان اقول بدالة : هاءنذا والبنين الذين اعطانيهم الله . وايضاً : ان الذين اعطيتني لم يهلك منهم احد . جعلنا الله مستحقين ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح ومحبته للطبيعة البشرية التي فداها بدمه الكريم الذي له المجد والعزة والاكرام والسجود الان وداغاً والى ابد الدهور كلها امين

لغزان في المرّيخ

للاب رفائيل نخله اليسوعي

لا نعلم من السيارات الثاني الدائرة حول الشمس واحدةً استفزّت رغبة الفلكيين في الاطلاع على غامض احاجيها بقدر المرّيخ . فلا الزُهرة التي تبدو في شكل ماسة كبيرة زهراء مرصّعة — والزُهرة اسطع من كل النجوم — ولا زُحل الذي ادهش الاقدمين والمتأخرين بحلقاته اللامعة الغريبة . ولا نبتون الذي اعلن الفلكي الفرنساوي الشهير لڤريه (Le Verrier) بمجرّد حساباته العميقة موقعهُ الخفيّ في اقاصي النظام الشمسي على بعد اربعة مليارات و ٨٠٠ مليون كيلومتر من الشمس . وبالاجمال لا نعلم سيّارة حيّرت عقول العلماء بقدر المرّيخ ولاسيّما منذ نحو خمسين سنة ، وقد زاد القيل والقال وتضاربت الآراء كل التضارب في هذا الكوكب العجيب اثناء العام الماضي حيث دنا في دورتهِ حول الشمس الى اقرب مسافة من الارض . فلاح اوانئذٍ لرهط من قليلي التبصُّر المستندين الى ادلّة واهية ان نبأً لاسلكيًّا ورد الينا من اهل المرّيخ . وكان كثيرٌ منهم قبل ذلك باعوام ارتأوا بوجود أناس مثلنا على سطح هذه السيارة وانّها مخطّطة بأقنية مستقيمة عديدة لا يمكن تعليلها بسوى عقل منشئيها .